١٩٥٧

الشيوعيون في مصر وسوريا

obeikan.com

obeikan.com

الحزب الشيوعي المصري:

تأسس سنة ١٩٢٢، بقيادة جوزيف روزنثال، وحسني العرابين وأنطون مارون، وظل سريا. وحله عبد الناصر في منتصف الستينات. ويقال أن قادة الحزب هم الذين حلوه وهم في سجون عبد الناصر.

وأعيد تأسيسه في سنة ١٩٧٥، واستمر سريا. لكنه ساهم في إثراء الحركة السياسية والثقافية في مصر. وفي قيادة حركات المطالبة بالديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونضال نقابات العمال والموظفين.

من قادته: زكي مراد، محمود أمين العالم، يوسف درويش، أحمد نبيل الهلالي، يوسف صديق، عصام شعبان.

الحزب الشيوعي السوري:

من أقدم الأحزاب السورية وكان منظمة واحدة مع الحزب الشيوعي اللبناني. من مؤسسيه فوزي الزعيم. وخلفه تلميذه خالد بكداش سنة ١٩٣٣. وكان أول نائب برلماني شيوعي عربي.

ثم اشتركت معه زوجته وصال فرحة بكداش. وزاد عدد نواب من النواب في مجلس الشعب السوري. واصدر صحيفة «صوت الشعب.»

وعارض الوحدة بين مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨ لانها حظرت الأحزاب.

وبقى صامدا على النهج الشيوعي، وعارض حتى برنامج «بيروستريكا» (الاصلاح) الذي أعلنه ميخائيل قوربتشوف، زعيم الحزب الشيوعي الروسي، في ثمانينات القرن الماضي. ورفض حل الحزب بعد أن أن حل قورباتشوف الحزب الشيوعي الروسي.

لكن، عارضه شيوعيون آخرون. مثل اليأس، مرقص الذي كان يسمى الحزب الشيوعي السوري «حزب الأمين العام» لأنه كان تحت سيطرة أل بكداش. ودعي مرقص إلى عدم تبعية الحزب للحزب الشيوعي الروسي.

خطاب من أيزنهاور: ١٠- ١- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... قضيت أمس أكثر من ساعتين مع ناصر، وتحدثنا عن خطاب الرئيس أيزنهاور عن الشرق الأوسط. وقال ناصر أنه قرأ الخطاب عشر مرات، لكنه لم يفهمه. وان بعض مستشاريه قالوا له أن الخطاب فيه سوء نية. لكنه نصحهم ألا يحكموا على الخطاب قبل أن يفهموه. وقال لهم أن سبب الغموض في الخطاب بالنسبة لهم هو أنه ليس، بالضرورة موجه لشعوب الشرق الأوسط، بقدر ما هو للاستهلاك المحلي الأمريكي ...

وعاد ناصر إلى كلامه الطويل والمعقد عن مشاكله في حكم مصر ...

ووجدت أنا صعوبة في متابعته، بسبب تكراره للنقاط، ورغبته في الحديث عن تطورات تاريخية قديمة.

أعتقد أن النقطة الرئيسية في حديثه معي هو أهمية تأثير الشعب المصري على سياساته. وقال أن هذا ظل دائما هدفه. لكن، ظهرت عوامل جديدة مؤخرا، منها زيادة قوة الحزب الشيوعي المصري. لكن، تحاشى ناصر أن يتحدث بتفصيل عن هذا الموضوع، وتحاشى أن يقول أنه صار أسير جماعات ضغط داخلية، شيوعية أو غير شيوعية.

غير أنه تحدث عن «صراعات عقائدية ونفسية» في المنطقة، وفي كل العالم. وسماها «الحرب العالمية الثالثة النفسية.»

وعاد إلى الحديث عن حلف بغداد. وعن هجوم الإعلام الغربي عليه، و، في نفس الوقت، ثناء الإعلام الغربي على إسرائيل. وقال أن الإعلام الغربي يركز على قوة القوات الإسرائيلية، وبأنها صارت تقدر على الوصول إلى القاهرة و دمشق خلال أيام قليلة. (لابد أن هذا الحديث مثل سم يتجرعه ناصر غصبا عنه).

وعاد ناصر إلى الحديث عن موضوع شراء الأسلحة من المعسكر الشيوعي. وعن دخول قوات إسرائيلية في غزة، التي قال، لدمشتي، أنها جزء من ضغوط عليه ليدخل

حلف بغداد ...

وعاد ناصر إلى موضوع الشيوعيين المصريين. وقال أن معاملاته مع الروس أقنعته بأنهم لا يريدون السيطرة على مصر. لكنه يواجه زيادة الشيوعيين في مصر، وليس سرا أنهم يشجعون التدخل الروسي. وقال أن الشيوعيين في بورسعيد خرجوا من تحت الأرض، ويتغلغلون في الحرس الوطني وجيش التحرير.

وقال أنه، في البداية، اقتنع بأن مشكلة الشيوعيين حقيقية، لكنه سيقدر على السيطرة عليها. غير أنهم صاروا أقوياء، وصار صعبا عليه التحرك ضدهم، خوفا من اضطرابات واسعة النطاق. لكن، تواصل استخباراته متابعتهم. وقال أن أهداف الشيوعيين المصريين هي:

أولا: القضاء على الاستعمار.

ثانيا: القضاء على «الدكتاتورية العسكرية.»

ثالثا: ادعاء تأييدهم للديمقراطية ليسيطروا على مصر ...

آيات قرآنية:

وعاد ناصر إلى خطاب الرئيس ايزنهاور. وقال أنه ابلغ مالك (؟) أن فهم الأمريكيين لشعوب المنطقة أفضل من إرسال مساعدات اقتصادية لهم. وان شعوب المنطقة ضعيفة أمام القوة الأمريكية. وليبرهن على هذه النقطة تحدث إلى مالك عن قصة القرآن الكريم عن موسى وسحرة فرعون ...

(بحث عنها السفير الأميركي، ووجدها في الآيات ١٠٣-١٢٦ في سورة رقم ٧، الأعراف. وكتب ذلك في خطابه إلى وزير الخارجية).

وأشار ناصر إلى الآيات التي تقول «فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين» و «قال الملأ من قوم فرعون أن هذا لساحر عليم» و «فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون»...

وانتقل ناصر إلى موضوع آخر: الجانب النفسي في الصراعات العالمية. وعن خوف كل شعب من اعتداءات خارجية. الأميركيون يلومون الروس. والمصريون يلومون

البريطانيين والفرنسيين والإسرائيليين.

وقال أنه يتمنى لو أن الرئيس أيزنهاور فرق بين الخطر المباشر والخطر المتوقع. وذلك لأن هناك فرق بين رجل يحمل مسدسا خارج باب البيت، ورجل يحمل مسدسا لكنه في نهاية الشارع.

وقال أن مشكلة مصر الحالية هي مواجهة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل. وأيضا، المشكلة الاقتصادية، بما في ذلك أرصدة مصر التي جمدتها الحكومة الأمريكية. وقال أنه لا يفهم كيف يتحدث الرئيس أيزنهاور عن المساعدات لمصر بينما يجمد أرصدتها، وبينما يرفض بيع القمح لها ...

هنا، قاطعته، وقلت له: تحدثت كثيرا عن رأي الشعب المصري. لكنى أريد أن اعرف رأيك أنت. هو. وان الحاكم، طبعا، يجب أن يضع اعتبارا لآراء شعبه، لكنه، في نفس الوقت، يجب أن ينظر إلى الصورة الكبيرة، إلى الماضي والحاضر والمستقبل، لأنه، وهو القائد، الأكثر معرفة، وخبرة، وتجارب.

وقلت له أن خطاب الرئيس أيزنهاور فيه فهم للقضايا التي تشغل بال العرب. وفيه إشارة إلى الوطنية.

ورد ناصر بأن كرر رأيه بأنه:

أولا: لابد أن يهتم دائما برأي الشعب.

ثانيا: يريد أن يلهم الشعب بأفكار الوطنية والعروبة حتى يثق في نفسه، ويتوحد، ويفتخر أمام شعوب العالم الأخرى.

ثالثا: يريد أن يفعل ذلك حتى يقدر على مواجهة الشيوعية ودعاياتها. وانه نجح فعلا في هذا المجال.

رابعا: لا يفهم لماذا تعارض الدول الغربية الوطنية في الدول العربية، ولكن تؤيدها في دول المعسكر الشيوعي ...

وسأل ناصر: ماذا سيحدث لو وقفت وقلت للشعب المصري أن روسيا هي أكبر

خطر يواجه مصر، بينما يعرف الشعب المصري أنهم يساعدوننا، ويعطفون علينا؟

وقال: لهذا، لابد أن يضع الحاكم الأهمية الكبرى لرأي شعبه.

وقلت له أن رأيه في خطاب الرئيس أيزنهاور خيب أملي، وأنني أتوقع أن يدرس الخطاب أكثر ...

وطلبت منه أن يلخص رأيه في خطاب الرئيس في دقيقة واحدة. فعل ذلك، لكنه كرر ما كان قال:

أولا: الاقتراحات غامضة.

ثانيا: لا تعالج المشاكل كما تراها شعوب المنطقة.

ثالثا: تفهم دول أخرى شعوب المنطقة (مثل روسيا)، فلماذا لا تفهمهم أمريكا؟ ...

كان ناصر في هذه المقابلة يبدو مرهقا، وغير مرتب، وأحيانا غير مفهوم. لا اعرف هل سبب هذا مرض، أو إرهاق، أو قلق على المشاكل التي يواجهها ...

«رأيي في رد ناصر»:

هذا هو رأيي في رد ناصر على خطاب الرئيس أيزنهاور:

أولا: يرى ناصر أنه لابد أن يعبر عن رغبات شعبه. لكن، ليفعل هذا، يجد نفسه يدق طبول الوطنية والعروبة.

ثانيا: يعرف ناصر أن الروس يدقون نفس طبول الوطنية والعروبة. ويرى أن هذا يخدم أهدافه في المنطقة. ولهذا، لا يقدر على أن يثير مواجهات مع روسيا، و مع الشيوعيين المصريين.

رابعا: نوه ناصر إلى أن مساعدتنا لمصر يحب ألا تكون فقط لأننا تطوعنا بها، ولكن، أيضا، لأنه يواجه الخطر الشيوعي ...

(في ملحق لهذه الوثيقة، مواضيع أخرى تحدث عنها ناصر، وكلها تكرار لما كان قال. غير أنه تحدث عن الفدائيين الفلسطينيين، وقال أن نشاطاتهم ضد المصالح

المصرية، ويجب ألا يقوموا بأي عمل بدون موافقته هو شخصيا. وانه قال نفس الشيء إلى الملك حسين، ملك الأردن ... »)

(أشار ناصر، في هذه المقابلة مع السفير الأمريكي، إلى «مالك»، والى النقاش معه حول آيات قرآنية. ربما يقصد شارل مالك، وزير خارجية لبنان في ذلك الوقت. وكان فيلسوفا أيضا. وأسس جمعيات فكرية مسيحية. وربما لهذا كان نقاش ناصر الفلسفي والديني معه. لكن، كان مالك على نقيض ناصر، مؤيدا للغرب، وحاصة أمريكا.

نال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد. ثم درس في الجامعة الأميركية في بيروت. ثم مثل لبنان في مؤتمر تأسيس منظمة الأمم المتحدة في سانفراسسكو سنة ١٩٤٥. ثم صار وزيرا لخارجية لبنان، في حكومة كميل شمعون. توتر الوضع في لبنان بعد أن اتحدت مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة، بقيادة ناصر. وطالب المسلمون بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة. واستنجد شمعون بأمريكا التي أرسلت قوات المارينز. ثم انسحبت عندما هدأ الوضع).

هيكل وأمين: ١١- ١- ١٩٥٦

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... صارت عادة أن تعقب اجتماعي مع ناصر زيارات من هيكل أو أمين (محمد حسنين هيكل، أو مصطفى أمين) يسألان عن كيف كان الاجتماع. وقلت لهما أنني لم أكن سعيدا بالسلبية وعدم الرؤيا من جانب ناصر.

واليوم قالوا لي أن ناصر مندهش لهذا الرأي من جانبي. وأنه يعتقد أن الاجتماع كان مفيدا. وأرسل ناصر، عن طريقهما، النقاط الإضافية التالية:

أولا: عن أهمية قيادته للشعب المصري، قال أنه يقدر على ذلك، لكن ذلك يعتمد على الظروف.

ثانيا: مشغول الآن بغزو إسرائيلي لغزة. وعندما يحل هذه المشكلة، سيضرب الشيوعيين.

ثالثا: يمكن أن يخفف حملته ضد نوري السعيد (رئيس وزراء العراق، بسبب حلف بغداد). ورحب بوساطة عربية. وقال أنه مستعد لحضور مؤتمر قمة عربي في بغداد .. »

خليج العقبة: ١٥- ٢- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... قابلت ناصر لأربع ساعات كاملة ليلة أمس. كان وديا، لكنه كان جادا ومتشددا ...

(هذه مقتطفات، لان بعض النقاط فيها تكرار):

«عن مرور السفن الإسرائيلية في خليج العقبة أو قناة السويس، قال أن أي تساهل من جانب مصر يمكن أن يعتبر خيانة للقضية العربية، ولموضوعي اللاجئين الفلسطينيين، ورسم حدود مع إسرائيل. وقال أن كل المواضيع يجب أن تعالج معا، وليس موضوعا دون الآخر.

وقلت له أن هذا رأي غريب. هل يقصد، حقيقة، أنه سيمنع العبور «البرئ» لسفن إسرائيلية في خليج العقبة بعد انسحاب إسرائيل؟ وجري بيننا نقاش طويل حول هذا الموضوع ...

قلت له أن هذا سيكون خطأ كبيرا، وذلك للأسباب الآتية:

أولا: نحترم نحن حق «العبور البريء».

ثانيا: سيسبب المنع صورة سلبية لمصر في العالم.

ثالثا: يجب ألا يحسم هذا الموضوع من جانب دولة واحدة

رابعا: يجب عدم ضم الموضوع إلى مشاكل وحلول بعيدة المدى.

خامسا: لن يكن فتح خليج العقبة لكل السفن خيانة للقضية العربية. لكن، تخدم الآراء الانفتاحية القضية العربية.

سادسا: يتحول الموضوع إلى «بازار» (سوق) إذا استعمل الملاحة في خليج العقبة

نقطة مساومة مقابل نقاط أخرى ...

«رفض الالتزام»:

استمع ناصر جيدا، لكنه رفض الالتزام بموقف معين.

رأيي أنه مستعد للتفكير في الموضوع، لكن يريد آخرون معه في الحكم سياسة متشددة. وقلت لناصر أنني قرأت اليوم تصريحات في الصحف من مدير الإعلام المصري فيها سلبية، وتدعو للقلق ...

وقال ناصر أن الإعلام المصري حر في أن يكتب ما يريد. وأنه عندما ينتقدنا يفعل ذلك ردا على هجمات من الإعلام الأميركي. ووصف ناصر هذه الهجمات بأنها «مسمومة»، رغم أنه يقرؤها. وأن المراسلين الصحفيين الأمريكيين مسئولون عن نشر كثير من الدعايات السلبية عنه وعن مصر ...

وأشار إلى هجمات إذاعات بريطانية عليه، وعلى مصر. وقال أن مصر سترد عليها خلال عشرة أيام.

وأنا قلت أن هذا سيكون شيئا مؤسفا. وذلك لأنه سيكلف مبالغ كبيرة تحتاج لها مصر لبناء اقتصادها.

وقال ناصر أنه يفهم رأيي. لكن، ليس هناك بديل أمامه غير أن يرد على الهجوم.

وقلت له أنني قرأت أخبارا، وانتقادات، في صحف مصرية بان شركات أمريكية في مصر تفصل موظفين مصريين.

وقال ناصر أن هناك إشاعات كثيرة سلبية في القاهرة، ومصادرها أمريكية. وقال، نعم، الشركات الأمريكية في مصر هي الوحيدة التي تفصل موظفيها وعمالها المصريين.

وقلت له أنني قرأت أيضا أخبارا وانتقادات للجالية الأمريكية في مصر.

وقال أن درية شفيق أضربت عن الطعام بتشجيع أميركي.

وأنا قلت له أن هذا ليس صحيحا.

(حسب وثيقة أخرى، كانت درية شفيق من قادة الحركة النسائية في مصر. وأضربت عن الطعام أمام السفارة الهندية في القاهرة، وطالبت بالاتي:

أولا: انسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية.

ثانيا: حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

ثالثا: إسقاط «النظام الدكتاتوري في مصر.»)

السناتور همفري: ٢- ٥- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... قدمت اليوم إلى ناصر السناتور همفرى (هيوبرت همفري، ديمقراطي من ولاية منيسوتا، وعضو لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ. في وقت لاحق، نائب الرئيس جونسون). وشرح ناصر، ربما لثلاث ساعات، الوضع في المنطقة، والعلاقات بين البلدين. رغم أن ناصر كان وديا، كان ملخص رأيه أنه فقد الأمل في سياستنا في المنطقة، وانه غاضب لموقف الإعلام الأمريكي منه ...

سال همفري عن سياسته الداخلية.

وتحدث ناصر عن الوضع الاقتصادي، والتعاونيات التي قال أنها من ثمار الثورة. وقال أن بعض المشاريع تسير في بطء بسبب زيادة تكاليفها. وقال: «يجب أن يكون الشعب حرا اقتصاديا حتى يقدر على أن يكون حرا سياسيا.»

كرر ناصر «نقاط التحول الثلاث» في العلاقات بين البلدين:

أولا: شراء أسلحة من المعسكر الشرقي.

ثانيا: حلف بغداد.

ثالثا: سحب تمويل السد العالي ...

ووصف الأخير بأنه كان «إساءة» إلى مصر ...

وقال أننا، الأميركيين، بعد أن أدنا العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي، وضغطنا لانسحاب القوات الغازية، عدنا نعادي مصر. وقال انه، في الوقت الحاضر، صار عداؤنا مثل عداء بريطانيا وفرنسا في مثل هذا الوقت من السنة الماضية، عندما كانا يعدان لغزو مصر. وقال: «لكن لفرق هو أننا نريد حل المشاكل سلميا ...

وأشار ناصر إلى تقارير في صحيفة «نيويورك تايمز» ومجلتي «تايم» و «نيوزويك»، وقال أن القصد منها هو إضعاف مصر، وعزلها.

وقاطعه هنا همفري. وحذره من أن يقع ضحية افتراضات نفسية وسياسية. وقال له أن الصحف المصرية التي تسيطر عليها الحكومة لعبت دورا في تدهور العلاقات بين البلدين، خاصة لأنها لا تهاجم روسيا مثلما تهاجمنا.

وسأل همفري ألم يتقرب ناصر أكثر مما يجب نحو روسيا لضمان امن مصر؟ ولماذا لا يثنى على تصرفات الحكومة الأميركية مثل الضغط لانسحاب القوات الغازية، والمساعدة في تنظيف وفتح قناة السويس؟

وقال ناصر بأنه يتقرب أكثر نحو روسيا، وقال أن الغرب هو الذي دفعه لذلك. وأنه لا يقدر على أن يثنى علينا لان ضغوطنا مستمرة. ولأنه إذا أثنى علينا، سيعتبره الناس أنه في موقف ضعيف ...

حسب رأيي، كانت فرصة لقاء السناتور همفري هامة ليعرف ناصر أن الكونغرس والرئيس أيزنهاور لا يختلفان كثيرا. وطبعا، كرر ناصر آرائه بأنه يواجه ضغوطا قوية من جانبنا. وأنا، طبعا، لا اتفق معه في ذلك. واعتقد أنه يركز على عداءنا ليزيد شعبيته. غير أن نقده لنا وصل مرحلة تصلب في الرأي، ومقاومة. وانه لا يبدو مستعدا لان يعرب عن قدرته على الوصول إلى حلول وسطى للمشاكل بيننا ... »

روسيا والذهب: ٢٩- ٥- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... قابلت ناصر أمس في منزله. جاء متأخرا لدقائق. واعتذر بأنه كان نائما لأنه كان

يعمل حتى الساعة السابعة صباحا ...

أغلبية الحديث كانت فلسفية وفي صراحة نادرة، خاصة عن الشيوعيين المصريين.

قال أن نظريته هي «رأسمالية تعاونية». وانه يواجه انتقادات من الشيوعيين. وأن استراتيجيهم نحوه كالأتي:

أولا: لن يقدر على ضربهم خوفا من أن يغضب روسيا.

ثانيا: إذا أجرى انتخابات، سيزيدون نشاطاتهم العلنية ...

وقال أنه سيقول لي لأول مرة أن روسيا، قبل ثلاثة شهور، عرضت عليه استبدال عشرة ملايين جنية مصري بالذهب، حتى تقدر مصر على شراء حاجياتها من غرب أوروبا. وأنه رفض العرض، لأنه:

أولا: لا يريد أن يتعاون كثيرا مع روسيا.

ثانيا: لا يريد أن ينظر إليه بأنه يدور في فلكها ...

وقال أنه لا يريد التحرك ضد الشيوعيين المصريين ليس خوفا من الروس، ولكن لأنه لا يريد أن يفتح جبهة جديدة بينما نحن، وبقية الدول الغربية، نعاديه. وقال، لهذا، قلقه الرئيسي هو نوايانا نحن ...

وسألني: ما هي سياستكم نحو مصر؟ وقال أنه يريد أن يسمع منى رغم أنه يعرف أن سياستنا سيئة نحو مصر. وقال أنه يريد أجوبة على ثلاثة أسئلة:

أولا: سياسة الحياد الإيجابي التي يسير عليها.

ثانيا: قرارات التأميم التي أعلنها.

ثالثا: «المؤامرات» التي ندبرها ضده وضد حكومته...

وبدأت أنا بنقطة «مؤامرات.» وقلت له أن كل سياساتنا ونشاطاتها مع مصر كانت علنية. كما أننا حرصنا ألا نتدخل في شئون مصر الداخلية.

وقال أن كلمة «مؤامرات» ربما ليست الكلمة الصحيحة. وهو يقصد أعمال تضعفه

وتضعف مصر. وربما أفضل كلمة «عداءات.»

وقال أنه تردد مرات كثيرة قبل أن يتحدث معي عن موضوع الشيوعيين المصريين. وذلك حتى لا نقول الآتي عنه:

أولا: يستغل الموضوع الشيوعي لنهتم بما يقول.

ثانيا: يريد مساعدتنا، لكنه لا يريد مساعدتنا في موضوع الشيوعيين ...

وفي نهاية المقابلة، طلب أن يكون حديثنا سرا، لأنه تحدث في صراحة، خاصة عن الشيوعيين ...«

(طبعا، نقل السفير الحديث إلى وزير الخارجية. في نفس اليوم. وليس معروفا إذا كان ناصر يقصد ألا يبلغ السفير وزير خارجيته).

«فشل ناصر»: ٢٤- ٨- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... عدت من واشنطن حسب تعليمات جديدة. لكنى وجدت أن الجو متوتر بعض الشيء بسبب خطاب ناصر في عيد الثورة، وبسبب الوضع في سوريا. ثم أن شخصية ناصر تعقد الوضع أكثر. انه: صريح، وسري في نفس الوقت. مباشر، وغير مباشر. واضح، وتآمري. شجاع، ومتردد. كريم وشحيح. ليبرالي، ودكتاتور. حكيم، وغبي. مصمم، وأناني. دكتور جيكل، ومستر هايد...

لهذا، أي تقييم له لا يمكن أن يكون كاملا. أحس أحيانا أنني أدخل بابا بعد باب، وإذا وصلت إلى الباب النهائي أكون عرفت كل شيء. لكنى اعتقد أنني حتى إذا وصلت إلى هناك، سوف أجد أن أفكار ناصر نصف كاملة، وغير محددة. لكننا، طبعا، يجب أن نتعامل مع ناصر كما هو ...

وجدت أن ناصر رجل التناقضات: في جانب، يحكم مصر بالقوة، وفي جانب صار رمز القومية العربية المتطرفة، ورمز الثورة ضد ما تسمى الامبريالية، حتى خارج الدول

العربية. ربما ليس بسبب جهده هو، ولكن بسبب الظروف النفسية الجماهيرية التي تحيط به...

في الوقت الحاضر، يواجه الناصران، الزعيم والرمز، تدهورا في وضعهما. يواجه ناصر زعيم مصر مشاكل اقتصادية. ويواجه ناصر الرمز عراقيل أمام طموحاته. ورغم أن شعبيته تظل عالية، كانت الانتخابات الأخيرة مخيبة للآمال:

أولا: نعم، جاء برلمان لابد أن يؤيد ناصر. لكن، فعل ناصر ذلك بأساليب غير ديمقراطية.

ثانيا: أعتقد ناصر أن الثورة ستجعل الشعب المصري يتحرك، ويبادر، ويتحمل المسئولية. لكن، لم يحدث ذلك. ووجد ناصر نفسه أنه هو الذي يتحرك، ويبادر، ويتحمل المسئولية.

ثالثا: صار النظام البرلماني مفروضا على الشعب بدلا عن أن يكون باختيار الشعب.

رابعا: ربما ليس ناصر أكثر الرجال حكمة، لكنه يملك ميزة سياسية جعلته لا يعتمد على نظام أساسه عسكري، بل على تأييد شعبي قوي. لكن، لم يتحرك الشعب بما فيه الكفاية. وها هو يرى فشل إستراتيجية الداخلية. ربما ليس فشلا كاملا، ولكن فشلا يدعوه لمراجعة ما حدث ...

عداء بعض العرب:

وفشل ناصر في مجال آخر: آثار غضب الطبقات الحاكمة في الدول العربية. نعم، كانت سياستنا من أسباب ذلك، مثل مشروع أيزنهاور. والذي حدث هو أن العرب تقسموا. وحدثت شروخ في حلم الوحدة العربية القوية تحت قيادة وسيطرة ناصر ...

الآن، أمام ناصر طريقان:

أولا: تعلم الدرس، وسيركز أكثر على حل مشاكله الداخلية، بدلا عن المواجهات الخارجية.

ثانيا: يعتبر فشله مجرد هزيمة في معركة، لا في حرب طويلة المدى هو متأكد من

الانتصار فيها...

أنا أعتقد أنه سيسير على الطريق الثاني. لن يهمل المشاكل الداخلية، لكنه يعرف أنها معقدة. وهو، على أي حال، ليس إداريا مجربا. في نفس الوقت، اعتقد أن ناصر لن يهمل المواجهات الخارجية. هذا هو مجاله، مجال القومية، والحماس، والشعارات، والمؤامرات، والخدع ...

أعتقد أنه يؤمن بذلك إيمانا قويا، رغم الهزائم والنكسات، هنا وهناك. يقول دائما، وهو يقول ما يعنى هنا، أن الشعوب العربية تظل تؤيد العروبة في قوة، وستتبعه دون الحكام الذين يعادونه.

هل سيحدث هذا، وإلى أي مدى، والى متى؟ لا أعرف. لكنى أعرف أن ناصر يؤمن بذلك. وسيعقب الإيمان بالعمل ...

ماذا سنفعل؟:

ماذا سنفعل نحن في هذا الوضع؟

أعتقد أن الطريق سيكون وعرا بالنسبة لنا. فيما يخص علاقة ناصر بروسيا والشيوعية، قال لي ناصر مرات كثيرة أن الظروف هي التي قوت هذه العلاقة، خاصة بسبب موضوع الأسلحة الروسية، وبيع القطن المصري لدول المعسكر الشرقي. لكنه يعرف، في وضوح، خطورة أن يكون تابعا لدولة عظمي، سواء روسيا أو الولايات المتحدة.

بالنسبة للشيوعيين المصريين، أعتقد أن لصورة غامضة. يريد كل جانب أن يدرس حسابات الوضع قبل أن يتحرك ضد الآخر. وقال لي ناصر مرة أن أكثر ما يخيفه، وهو يخطط لنظام انتخابات وبرلمان، أن الشيوعيين سيؤيدونه، ويتحالفون معه. ثم يعملون من الداخل لتأسيس حكومة شيوعية ...

أعتقد أن ناصر يشك، حقيقة، في الشيوعيين المصريين. لكنه ليس متأكدا من الخطوة التي يجب أن يخطوها. وتزيد المشكلة عندما نلاحظ أن هناك شيوعيين، وأشباه شيوعيين، ويساريين في صف النظام. إن لم يكونوا داخله ...

حسب معلوماتنا، هذا هو مخطط الشيوعيين المصريين العام (التغلغل داخل النظام). لكن، توجد أقلية تظل تعارض ناصر، وبالتالي، تعارض التحالف معه...

وبالنسبة للحياد الايجابي، نشرت مجلة «أرمد فورسيس» (مجلة القوات الأمريكية المسلحة) تقريرا عنوانه: «إستراتيجية الدفاع المصري.» وفيه أنه رغم أننا نختلف مع فلسفة الحياد الايجابي»، يجب أن نعرف أن ناصر لم يختار هذه الفلسفة صدفة، أو ليستغلها ليحصل على مساعدات من المعسكرين الغربي والشرقي. يؤمن ناصر إيمانا حقيقيا بهذه الفلسفة. ويجب علينا أن نضع ذلك في الاعتبار عندما نتناقش معه حولها ...

لكن، توجد مشكلة: صارت فلسفة الحياد الإيجابي تستغل، مباشرة أو غير مباشرة، من قبل حكومات يسارية غير محايدة، مثل ما حدث في سوريا ...

صحف «فاسقة»:

وبالنسبة للعلاقة بين بلدينا، يمكن القول بأن الآراء المتطرفة، والفاسقة، من قبل الصحف المصرية أفسدت هذه العلاقة إلى ما غير رجعة. نعم، الوضع صعب، ويدعو للحزن. لكن، اعتقد أن مستقبل العلاقة ليس بلا أمل.

نعم، ناصر يبدو غاضبا منا، أو متوترا نحونا. ويرى أن هدفنا الرئيسي ليس فقط معارضته، ولكن تدميره. وعرفت من مصريين تعلموا في الغرب، ويميلون إلى الغرب، أنهم هم، أيضا، مقتنعون بأننا نريد أن نركع، ليس فقط ناصر، ولكن مصر، والشعب المصري ...

رغم هذا، أستطيع القول بأن في مصر أحاسيس ايجابية نحونا كناس، ونحو جامعاتنا، ونحو مبادئنا، بصرف النظر عن سياسة حكومتنا...

وأعتقد أنه إذا استطاعت سياسة حكومتنا كسب ناصر والمصريين، سيزيد كثيرا الإحساس الايجابي نحونا ...

ماذا سنفعل نحن الآن؟

أعتقد أننا استهلكنا كل طاقاتنا لنقنع ناصر بآرائنا، ولم نقدر. أو حتى اقتربنا من إقناعه. واعرف أن هناك أميركيين هنا، غير موظفين في الحكومة الأمريكية، ومراسلين

صحفيين، يختلفون معي في هذا التقييم.

(يقترح السفير خطوات كثيرة ومفصلة للحكومة الأمريكية لتحسن علاقتها مع ناصر. ومنها:

أولا: نتحدث مع ناصر مباشرة. وكان هو اشتكى بأننا لا نتصل به مباشرة، بدلا عن الاتصال بمساعديه، ومستشاريه. لكننا لا نريد أن نفعل ذلك كثيرا حتى لا نساعد على اقتناعه بأهمية نفسه ...

ثانيا: نوسط قادة عرب معه. ربما الملك سعود، رغم سوء العلاقات بينهما في الوقت الحاضر ...)

سوريا: ٣١- ٨- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... في لقاء سريع مع ناصر اليوم، نقلت إليه طلبكم لمعرفة رأيه في الوضع في سوريا، وقولكم أن الولايات المتحدة تعارض الشيوعية. ولهذا، يمكن أن تتعاون مع ناصر، في سوريا، وفي غير سوريا. وقال ناصر أنه شخصيا يعارض الشيوعية. لكنه أضاف بان ما يراه ضغطنا عليه يقلقه أكثر من الشيوعية ... »

(سوريا: منذ استقلالها من فرنسا، سنة ١٩٣٠، ظلت سوريا أكثر الدول العربية اضطرابات. ووقع فيها أول انقلاب عسكري في الدول العربية: سنة ١٩٤٩ بقيادة حسنى الزعيم. وكان ذلك رد فعل على هزيمة سوريا، والعرب، في حرب سنة ١٩٤٨ ضد إسرائيل، مما جعله وزملاءه يكفرون بالديمقراطية الغربية التي كانت فرنسا أسستها مع خروجها من سوريا. وعندما ألغى الزعيم النظام البرلماني، هرب الرئيس شكري القوتلي إلى مصر.

لكن، واجه الزعيم مشاكل بسبب سياساته العلمانية، ودعوته لتحرير المرأة، ومعارضته للحجاب.

ووقع، في نفس السنة، انقلاب عسكري ثان بقيادة سامي الحناوي، الذي كان اشترك مع الزعيم في الانقلاب الأول. لكن، كان انقلاب الحناوي أكثر عنفا. وأمر بإعدام الزعيم، ورئيس وزرائه محسن البرازي، في حضور ابن البرازي. وعمت سوريا موجة عنف وقتل.

ووقع، في نفس السنة، انقلاب عسكري ثالث، بقيادة أديب الشيشكلي، الذي كان اشترك مع الزعيم والحناوي في الانقلاب الأول. وبعد سنة، قتل الحناوي في بيروت، قتله هيرشو البرازي، ابن عم محسن البرازي. وكان حكم الشيشكلي أيضا عنيفا.

وحسب كتاب «لعبة الأمم»، ساعدت الاستخبارات المركزية الزعيم، ثم الحناوي، ثم الشيشكلي. وكانت أميركا تريد الآتي:

أولا: بناء خط أنابيب نقل البترول السعودي، الذي عارضه القوتلي.

ثانيا: محاولة مصالحة مع إسرائيل، التي رفضها القوتلي.

ثالثا: مواجهة زيادة قوة الشيوعيين، ولم يكن القوتلي متشددا ضدهم.

في وقت لاحق، عرضت أميركا على الشيشكلي حل مشكلة فلسطين بتوطين اللاجئين الفلسطينيين في سوريا. لكنه رفض، رغم إغراءات مالية كثيرة.

وكان الثلاثة، الزعيم، والحناوي، والشيشكلي يحاولون تنفيذ نظرية الحزب القومي السوري بتأسيس سوريا الكبرى، لتشمل لبنان والأردن وفلسطين. لكن، عادى الحزب البعثيون، والدروز، والشيوعيون، والإخوان المسلمون.

وسنة ١٩٥٤، بعد خمس سنوات في الحكم، وقع انقلاب عسكري أطاح بالشيشكلي، وجاء بأعدائه: البعثيون والشيوعيون. وهرب الشيشكلي إلى البرازيل، حيث قتله، فيما بعد، شخص من الدروز، انتقاما لما كان فعل بالدروز.

أعاد انقلاب سنة ١٩٥٤ الحكم البرلماني. وتنافس الشيوعيون، والبعثيون، والقوميون، والناصريون. غير أن الشيوعيين كانوا الأكثر نشاطا وقوة، خاصة لأنهم تعاونوا مع روسيا التي أرسلت كميات كبيرة من الأسلحة. كما كان النظام البرلماني هشا.

واقلق هذا تركيا، واقلق ناصر.

وزاد الخطر الشيوعي أكثر. وكان ذلك من أسباب تحالف الرئيس شكري القوتلي مع ناصر. وكان القوتلي عاد رئيسا لسوريا. وكان، قبل ذلك، ثاني رئيس لسوريا، بعد هاشم الاتاسي. وتطور التحالف بين القوتلي وناصر مع زيادة قوة الشيوعيين. ثم اتفقا على دمج مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة يوم الأول من فبراير سنة ١٩٥٨.

وصار ناصر رئيسا لها، وصار القوتلي «المواطن العربي الأول».

الأردن: ١٦- ١١- ١٩٥٧

من: السفير، القاهرة

إلى: وزير الخارجية

«... قابلت اليوم السفير حسين (أحمد حسين، سفير مصر في الولايات المتحدة) الذي نقل لي ما قال أنه ملخص اجتماع ساعتين مع ناصر ...

(مقتطفات):

«عن الحملة الإعلامية المصرية على الأردن والملك حسين، قال السفير حسين أن ناصر قال أن الأردن بدأ الحملة، وأن ناصر صبر لفترة، وعندما استمرت حملة الأردن، أمر ناصر الإعلام المصري بأن يكيل الكيل كيلين.

لكن، قال لي السفير أنه لم يقدر على أن يرد على ناصر، لأنه، السفير، لم يسمع أي شيء عن حملة إعلامية أردنية. وقال السفير أنه قال لناصر أنه لا يليق بكرامة مصر أن تدخل في مثل هذه الحملة، وان هذا يسود وجه مصر في الخارج ...

وقال السفير أن ناصر اشتكى من إذاعات سرية تهاجمه وتهاجم مصر. منها: «صوت الحق» و«صوت مصر الحرة». وقال ناصر أن الاستخبارات المصرية قالت له أن وراء هذه لجنة مواجهة الاضطرابات التابعة لحلف بغداد الذي تنتمي له الولايات المتحدة.

وأن ناصر قال أن الإذاعة الأردنية لا يمكن أن تتجرأ بالهجوم عليه بدون دعم من الولايات المتحدة.

وقال السفير، في النهاية، ربما مجاملة لي، أنه يعتقد أن ناصر سيأمر بتخفيض الحملات الإعلامية. وأنه لاحظ أن صحف اليوم لم تهاجم الأردن.

ورأيي هو أنني، أيضا، استغربت كيف قال ناصر أن الأردن هو الذي بدأ الحرب الإعلامية. لكن، بعد أن راجعت تقارير «فبيس» (خدمة متابعة الإذاعات في واشنطن)، تأكد لي أن إذاعة عمان بدأت حملة عنيفة ضد مصر بداية من يوم ١٥-١٠-١٩٥٧. لكن، لم ترد إذاعة القاهرة ألا يوم ٣-١١-١٩٥٧ ...

واليوم، بعد مقابلة السفير حسين، علمت من مصادرنا أن ناصر، فعلا، يفكر في تخفيف الهجوم الإعلامي على الأردن. وانه أمر وكالة أنباء الشرق الأوسط بوقف فبركة أخبار عن قلاقل داخل الأردن. وقالت مصادرنا أن ناصر لا يريد أن يوقف الهجوم فجأة، حتى لا يثير شكوكا ...

وعن زيادة نفوذ الشيوعيين في سوريا، قال لي السفير حسين أنه ناقش الموضوع مع ناصر. وقال له ناصر أنه قلق على ذلك. وأشار إلى عفيف البزره. وعكس ما كان يقول لنا ناصر بان هؤلاء القادة وطنيون وليسوا يساريين، قال للسفير حسين أن البزره شيوعي. وانه صاحب السلطة الحقيقية في سوريا. وسأل ناصر عن طريقة التخلص منه. ورشح السفير اختيار عبد الحميد السراج. لكن، بدى ناصر غير متأكد من قدرة السراج على مواجهة البزره.

وقدم لي السفير حسين رأيا كتبه السوب في صحيفة «نيويورك تايمز» عن شحنات أسلحة من روسيا إلى سوريا. وان كميات الأسلحة كبيرة جدا، مما يثير إمكانية توسعات روسية في سوريا وفي المنطقة.

(كتب جوزيف السوب، معلق أميركي كبير، هذا الرأي في صحيفة «واشنطن بوست» يوم ٤-١١-١٩٥٧).

وقال لي السفير حسين أن ناصر اعترف له بان الوضع يتدهور في سوريا. وان البزره ربما سيكون مثل جانوس كادار ويتحالف مع روسيا (إشارة إلى الثورة في المجر سنة ١٩٥٦ حيث ضغط الروس على ناجي حتى استقال، وجاء بعده كادار حليفا لروسيا).

وتحدث مع السفير حسين عن النفوذ الروسي في مصر، وصلة ذلك بزيادة نشاطات الشيوعيين المصريين. وقال حسين أن هناك إشاعات في القاهرة بأن السفير الروسي كسيليف صار مثل اللورد كرومر. غير أن حسين قال أن ناصر قال أنه لا يخاف من الروس ومن الشيوعيين المصريين. وأنه، على أي حال، يتابع نشاطاتهم،وسيتحرك إذا أحس أن أخطارهم قد زادت ...

وقال السفير حسين أن الروس ربما يخططون لعزل ناصر، ووضع شخص حليف مكانه. وأن الشيوعيين والشيوعيين الجدد تغلغلوا داخل الحكومة. وأشار إلى: أحمد فؤاد، مجدي حسنين، رشيد باراوي، أبو نصير.

وقال السفير حسين أن ناصر قال له أن اتهامات كانت وجهت لهؤلاء، لكنه لم يعثر على دليل بعد أن أمر بالتحقيق في الموضوع. لكن، قال حسين أنه متأكد، وأقترح مزيدا من التحقيق ...

(في خطاب لاحق، في اليوم التالي، قال السفير الأمريكي أن السفير المصري حسين، بعد أن عاد من واشنطن إلى القاهرة، وجد أن أسهمه انخفضت كثيرا. وقضى أسبوعين قبل أن يقابل ناصر. لكن، في وقت لاحق، ارتفع نجم حسين، ربما لأنه صار يتحدث مع ناصر بصراحة، ويقول له ما لا يقول له المقربين منه. غير أن السفير الأميركي قال أن تصريحات السفير المصري حسين ربما فيها مبالغات).